الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

سلسة تمكين الرّمضانيّة (1-4)

عبق التّربية الإسلاميّة والقيم الإنسانيّة في المدرسة المحمديّة

د. خميس بن عبيد العجمي

رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
رئيس مجلس أمناء مدارس كينو
الخاصة بسلطنة عمان

360 KNO SMART SCHOOLING
unicef
UNESCO United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization
GenEx Generational Education Exchange
تمكين TAMKEEN
UNIVERSITY OF VICTORIA LONDON - UK
AMIEE American International Education Federation

تعدّ التّربية في المفهوم النّبويّ عمليّة شاملة متكاملة تستهدف بناء شخصيّة الإنسان من الجوانب الرّوحيّة والعقليّة والجسديّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة، فقد عرّف النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم بقوله: "إنما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق"، فقد أصبحت رسالته التّربويّة امتداداً لرسالته النّبويّة، وغدت جوهرها وغايتها وكنهها العميق، فالمتأمّل في النّصوص النّبويّة يجد أنّ مفهوم التّربية يعني تنمية الإنسان وتطويره نحو الكمال الإنسانيّ المنشود، وهي تنمية تقوم على أساس إصلاح النّفس البشريّة وتهذيبها، وعلى الرّعاية والعناية، وتوجيه الإنسان نحو الخير والصّلاح، وتنمية قدراته ومواهبه، وتوجيهه نحو غاية وجوده في الحياة، ألا وهي عبادة اللّه تعالى وعمارة الأرض.

هذا ويتميّز المنهج التّربويّ في المدرسة المحمّديّة بخصائص فريدة تميّزه عن غيره من المناهج التّربويّة، ومن أبرز هذه الخصائص؛ أنّه منهج تربويّ نبويّ مستمدّ من الوحي الإلهيّ، وهذه الخاصيّة تمنحه سمة الكمال والشّمول والثّبات، كما أنّه يراعي جوانب الشّخصيّة الإنسانيّة جميعها دون إهمال لأيّ جانب منها، وهو منهج واقعيّ يراعي الفطرة البشريّة وطبيعة الإنسان، فلا يكلّفه فوق طاقته، ولا يحمّله ما لا يطيق، وهو منهج تدرّجيّ يراعي طبيعة النّفس البشريّة وقدرتها على التّلقي والاستيعاب، وأنّه ذا سمة إيجابيّة في التّربية، إذ يحفّز المتعلّم على المشاركة الفاعلة في عمليّة التّعلّم، ويحثّه على التّفكير والبحث والسّؤال، ويعزّز لديه الثّقة بالنّفس ويشجّع على المبادرة والإبداع.

ARAB-PSF.COM

كما أنّه منهج يحقّق التّوازن بين مختلف جوانب شخصيّته، فلا طغيان لجانب على حساب جانب آخر، فهو يسعى لتحقيق التّوازن بين تربية العقل والقلب، فالإسلام لا يفصل بين العلم والإيمان، أو بين العقل والرّوح، بل يجمع بينهما في نسق متكامل يشمل تنمية التّفكير والاستدلال من خلال دعوة القرآن إلى التّفكّر والتّدبّر، وتعزيز البصيرة والفهم العميق، والتّكامل بين العلم والعمل، فالعلم وسيلة للعمل الصّالح وليس غاية في ذاته، والجمع بين الفريضتين؛ فريضة طلب العلم وفريضة تزكية النّفس، والتّوازن بين العقل والعاطفة فلا يطغى أحدهما على الآخر، ممّا يجعل الإنسان المسلم متكاملاً في شخصيته، قادراً على التّفاعل الإيجابيّ مع مختلف جوانب الحياة، ومتوازناً في نظرته إلى الكون والإنسان والحياة، فضلاً عن موازنة هذا المنهج بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع وبين متطلّبات الدّنيا والآخرة، ومرونته وقدرته على التّكيّف مع مختلف الظّروف والأحوال، ناهيك عن صلاحيّته لكلّ زمان ومكان.

وقد اتّبع النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في تربيته للصّحابة منهجاً متدرّجاً، يراعي مراتب التّربية ومراحلها، فكانت البداية بمرتبة التّلقين والتّعليم، للمعارف والمعلومات الأساسيّة، وتعليمه المبادئ والقواعد الضّروريّة، ثمّ مرتبة التّفهيم والتّوضيح التي يتمّ فيها تفهيم المتعلّم ما تلقّاه من معارف، وتوضيح ما غمض عليه، وشرح ما أشكل عليه، ومرتبة التّطبيق والممارسة التي يتمّ فيها تحويل المعارف والمفاهيم النّظريّة إلى ممارسات عمليّة وسلوكيّات يوميّة، ومرتبة التّزكية والتّهذيب التي يتمّ فيها تزكية النّفس وتهذيبها، وتطهيرها من الرّذائل، وتحليتها بالفضائل.

ARAB-PSF.COM

فمن خلال هذه المراتب يظهر اهتمام المنهج النبويّ بالتّربية الإيمانيّة، إذ اعتبرها أساساً للبناء التّربويّ كلّه، فالإيمان هو المحرّك الأساسيّ للسّلوك الإنسانيّ، والدّافع الرّئيسيّ للالتزام بالقيم والأخلاق، فقد اعتنى الرّسول صلّى اللّه عليه وسلم بالتّربية الإيمانيّة فحرص على ترسيخ العقيدة الصّحيحة في نفوس الصّحابة، وتنقيتها من شوائب الشّرك والبدع والخرافات، وعمل على ربط قلوبهم باللّه تعالى، وتعزيز شعورهم بمعيّته ومراقبته، وعزّز شعورهم بالمسؤوليّة أمام اللّه تعالى، وأنّهم محاسبون على أعمالهم، واهتمّ بتعزيز صلتهم بالقرآن الكريم، فكان يحثّهم على تلاوته وتدبّره والعمل به، واهتمّ بربط العلم بالعمل، وحرص على تعليمهم وتدريبهم على العبادات، وبيان أثرها في تزكية النّفس وتهذيبها، وتوضيح ما تشمله التّزكية من مجاهدة النفس وكبح جماحها، ومحاسبة النفس، وتطهير القلب من الأمراض كالحسد والكبر والرياء والعجب، وتنمية الصفات الإيجابية كالصدق والأمانة والعفو والتسامح والشجاعة والكرم، والاستقامة على طاعة اللّه،

من هذه الأسس جمعت المدرسة المحمديّة لديها الجوانب المثلى للتّربية الشّاملة وتنمية الإنسان روحياً وأخلاقياً وفكرياً، إذ وضع النّبيّ محمد صلّى اللّه عليه وسلّم أسساً متينة لبناء الإنسان المتكامل من خلال منظومة قيميّة وأخلاقيّة فريدة، أساسها تنمية الخشية والتّقوى كأساس للسّلوك القويم، لقوله تعالى: "إنّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم"، وتعزيز الثّقة باللّه وحسن التّوكّل عليه والاعتماد عليه في كلّ الأمور، وقد اتّبع النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم منهجيّة متكاملة لغرس القيم والأخلاق، تميّزت بالتّدرّج والشّمول والتّكامل، ومراعاة

ARAB-PSF.COM

الفروق الفردية وذلك بمخاطبة كلّ إنسان بما يناسب مستواه وقدراته وظروفه، واستخدام أساليب متنوعة كالتّرغيب والتّرهيب، والقصة والمثل، والحوار والإقناع، والتوجيه المباشر وغير المباشر، والاهتمام بالممارسة العمليّة، والتعزيز الإيجابي بالتّشجيع والثّناء، والقدوة الحسنة التي تعدّ من أهمّ وسائل التّربية في المنهج النّبويّ، فالنّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم كان قرآناً يمشي على الأرض، وتجسيداً حياً للقيم والأخلاق التي دعا إليها، هذا وتتجلّى أهميّة القدوة من خلال تحويل النّظريّ إلى واقع عمليّ، والتّأثير العميق في النّفوس، والاقتداء الواعي الذي يقوم على الاختيار المسؤول لا على التّقليد الأعمى، واستمراريّة الأثر في النّفس أكثر من تأثير الكلام النّظريّ.

ختاماً، فإنّ أسس التّربية في المدرسة المحمديّة تمثّل نموذجاً فريداً للتّربية الشّاملة المتكاملة التي تهتمّ ببناء الإنسان الصّالح روحياً وأخلاقياً وعقلياً واجتماعياً، فهي تربية تسعى لتحقيق السّعادة في الدّنيا والآخرة، وترشد لجادّة الصّواب في عصر يعاني من أزمات أخلاقيّة وروحيّة، فنحن الآن في أمسّ الحاجة إلى العودة إلى مثل هذه الأسس واستلهامها لبناء منظومة تربويّة إنسانيّة وقيميّة شاملة نحقّق بها التّوازن المنشود في بناء إنسان قادر على مواجهة هذا العصر ومجاراته دون انسلاخ عن قيمه ودينه وإنسانيّته.